# "صورة الأَخوّة في خطاب نبي الله موسى عليه السلام في القرآن الكريم"

## ( دراسة تحليلية موضوعية )


إعداد:

**د. غدير سالم الشمايلة**

قسم اللغة العربية – جامعة مؤتة – الأردن

**الملخص:**

يعالج هذا البحث الصورة البيانية لخطاب (الأخوّة) في القرآن الكريم، وقد اختار لهذه الغاية خطاب موسى وهارون (عليهما السلام) نموذجاً. وعمد إلى تحليل خطاب الأخوين تحليلاً بيانياً، مبيناً جماليات هذا الخطاب، وما احتوى عليه من بلاغة وتصوير فني، ومعانٍ إنسانية راقية تدل على قداسة هذه الرابطة. وقد استعان البحث بكتب التفسير الشهيرة كتفسير (القرطبي) و(الزمخشري) و(البحر المحيط) وغيرها، واختار من المعاجم (لسان العرب) لمعالجة الأصول الثلاثية لبعض الألفاظ الواردة، وكتب البلاغة مثل (دلائل الإعجاز) للجرجاني و(المفتاح) للسكاكي وغيرها. وكان منهجه وصفياً بيانياً.

**The image of the brother in the speech of Moses peace be upon him**

**(A Rhetorical Qur'anic study)**

## Abstract

This study addresses the rhetorical image for the speech of brotherhood in the Holy Quran. To do so, the speech of Moses and Aaron (peace be upon them) was taken as a model.

The researcher analyzed the speech of the two brothers rhetorically, demonstrating the aesthetic sides of this speech as well as the artistic images and the wonderful human meanings that illustrate the holiness of this relationship.

The researcher utilized the well-known interpretation books, such as Al-Qordobi, Al-Zamakheshari , and Al-Bahr Al-Moheet. As for the lexicons, the researcher selected (Lisan Al arab / the tongue of Arabs) to address the three assets of some mentioned vocabularies. With regard to rhetoric books, the researcher chose (Dala'el Ale'jaz / the signs of miracles) for Al-Jarjani and (Al-Moftah / the key) for Al-Sakaki as well as other books. The researcher used the descriptive rhetorical method.

## مقدمة:

رسم القرآن الكريم صورة مشرقة للأخوّة بين أبناء البشر، وما ينبغي أن تتسم به من تراحم وعون ومؤازرة، لذا يُعدّ قول موسى (عليه السلام) مخاطباً ربه: {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١)}[(١)]، نبراساً لمن أراد أن يتقرب إلى إخوته، لأن الأخ هو الوزير والمعين والمساعد.

لذا أخذ هذا البحث على عاتقه استجلاء صورة هذه العلاقة بأبهى تجلياتها، واختار علاقة موسى بهارون (عليهما السلام) نموذجاً لهذا التجلّي، وصورة طيبة لهذا الطهر الإنساني الشفيف، فتتبع خطاب هذين الأخوين، وحلل مراميهِ – على قدر ما يستطيع – تحليلاً بيانياً، لينير الطريق لمن يسأل عن صورة الأخوة في القرآن الكريم. فإن قال قائل بأن شريعة موسى غير شريعة الإسلام قلنا: بأن الأديانَ السماوية مصدرها واحد، وجميعها دعت إلى المحبة والإخاء، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

وقد استعانَ البحثُ بالمصادر المتخصصة بالدراسات القرآنية والبيانية، لبيان مسميات الظواهر اللغوية والبلاغية الواردة أثناء الدراسة، وعلى رأسها كتب التفسير والبلاغة، من مثل تفسير القرطبي والزمخشري، ومن كتب البلاغة المفتاح للسكاكي، و(دلائل الإعجاز)

(١) سورة طه/ ٢٩-٣٢.

للجرجاني، ومن المعاجم استعان بـ (لسان العرب) لابن منظور لمعالجة الجذر الثلاثي للكلمات.

وتم تقسيمُ البحثِ إلى عناوينَ رئيسةً (وليس فصولاً) نظراً لمحدودية مساحته، عالجَ خلالها قضايا تمس موضوع الأخوّة في القرآنِ من مثلِ: (بناء الأخوة يبدأ في البيت)، (موسى يلتمس مرافقة أخيه)، (لماذا قدم هارون على موسى) وغيرها. مستعيناً بآراء الدارسين والمفسرين والبلاغيين ليخرج بنتائج إنسانية وبيانية، أوردها في الخلاصة. وكان منهجهُ وصفياً بيانياً.

**والله الموفّق**

**تمهيد:**

الأُخوّة لغةً: من الأصل الثلاثي (أ خـ و) وجاء في اللسان: "الأخُ من النسب معروف، والاثنان أخوان، والجمع إخوان وإخوة"(١).

ويستنكر ابن منظور على أهل البصرة قولهم: "الإخوة في النسب، والإخوان في الصداقة"، فيقول: وهذا غلط(٢)؛ لأن الله عز وجل يقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}(٣)، ولم يعنِ النسب. {أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ}(٤)، وهذا في النسب.

وأصله من (وخى) أي قصد، وسمي الأخ أخاً؛ لأنه يقصد قصد أخيه، وقد قلبت الواو همزة(٥). وقال المبرّد: الأب والأخ ذهب منهما الواو، تقول في التثنية: أبوان وأخوان(٦). ورابطة الأخوة من أقدس الروابط الإنسانية، وأكثرها عمقاً وتأثيراً في علاقة الأفراد بعضهم ببعض، حيثُ يستشعر الإنسان معنى الأمان والطمأنينة حين تربطه بإخوته علاقة متينة طاهرة خالية من الغيرة والحسد والمنافسة.

وقد سعى الشيطان منذ هبوط آدم – عليه السلام – إلى الأرض إلى إفساد هذه الرابطة بين ولديه (قابيل وهابيل) عن طريق إثارة الغيرة

(١) لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر – بيروت، مادة (أ خـ ا).
(٢) المصدر السابق، مادة (أ خـ ا).
(٣) سورة الحجرات، آية ١٠.
(٤) سورة النور، آية ٦١.
(٥) لسان العرب، مادة (أ خـ ا).
(٦) المصدر السابق، مادة (أ خـ ا).

والحسد بينهما، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[1].

وتذكر التفاسير أنهما قدما لله قربانين مختلفين، فتقبل الله من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، يقول الطبري: "حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا عوف عن أبي المغيرة عن عبد الله بن عمرو قال: إنَّ ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، كان أحدهما صاحب حَرْث، والآخر صاحب غنم، وأنهما أمرا أن يقربا قرباناً، وأن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها طيبة بها نفسه، وأن صاحب الحرث قرب شر حرثه (الكوزن) و(الزوان)[2] غير طيبة بها نفسه، وأن الله تقبل قربان صاحب الغنم، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث"[3]. وفي رواية "كان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله عز وجل أرسل إليه ناراً فأكلته، فجاءت النار فنزلت بينهما، فأكلت الشاة وتركت الزرع"[4].

لقد اعترى (قابيل) إحساس بالحسد والغيرة اتجاه أخيه (هابيل) فقرر أن يقتله، ووسوس له الشيطان بذلك فأصبح من النادمين. لكن هيهات أن ينفع الندم بعد فقدان الأخ والسند والمعين، فبعد أن فاضت روح أخيه، وقف حائراً لا يعرف ماذا يصنع!! فبعث الله غراباً ليريه كيف يوارِيَ

(١) سورة المائدة، آية ٢٧.

(٢) الكوزن والزوان: نباتات رديئة تخلط مع البرّ.

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ج١٠/ ٢٠٢ – ٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١٠/ ٢٠٢–٢٠٣.

سوءة أخيه: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)}[١].

لقد وارى الغراب جيفة غراب آخر أمامه، وصار يحفر في الأرض ليعلمه كيف يدفن أخاه، وهي صورة مؤثرة تعكس قسوة الإنسان على أخيه الإنسان، ورأفة الحيوان بأبناء جنسه، ومنذ ذلك اليوم توالى مسلسل القتل، ونزاع الإخوة بين بني البشر.

وقد عاد القرآن بعد ذلك يحذّر من عداوة الإخوة؛ لما فيها من خسران مبين، وفقدان لنعمة التآخي والتآزر والإسناد، ونقل على لسان موسى –عليه السلام– ما يشرح نعمة وجود الأخ حين طلب من الله سبحانه أن يؤازره بأخيه هارون في رحلته إلى فرعونِ مصرَ فقال: {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١)}[٢].

لقد حرص موسى عليه السلام على تعزيز هذه الرابطة – رابطة الأخوّة – وسمى أخاهُ (وزيراً) من المؤازرة، وقد سُمي الوزير وزيراً لأنه يؤازر الملك ويحمل أعباءه[٣]، كما أكّد –عليه السلام– على معنى الشراكة الحقيقية بينه وبين أخيه (وأشركه في أمري) إشارةً إلى استبعاد معنى الأنانية والاستفراد بالأمر، وهكذا هم الأنبياء ينفذون إلى عمق معاني الأشياء وأبعادها، ليرسلوا للبشر رسائل المحبة والتحذير من الفرقة والعداوة.

(١) سورة المائدة، آية ٣.

(٢) سورة طه/ ٢٩-٣٢.

(٣) لسان العرب، مادة (وزر).

وقد حذر القرآن الكريم في أكثر من موضع من التنكر لرابطة الأخوة، أو جرحها بالإساءة، كتحذيره من (الغيبة) بين الإخوة وتشبيهها بأكل لحم الميت: {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا}(١). وبين أن الأخ يرفع البؤس عن أخيه، فقال على لسان يوسف (عليه السلام) لأخيه (بنيامين): {قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ}(٢)، وبين أن الأخ هو رأس المال الحقيقي للإنسان – بعد الله –، فقال على لسان موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي}(٣).

(١) سورة الحجرات/ آية ١٢.

(٢) سورة يوسف، آية ٦٩.

(٣) سورة المائدة/ آية ٢٥.

## (منزلة موسى في القرآن الكريم)

ورد ذكر موسى عليه السلام (١٦٣) مرة في القرآن، وأورد القرآن الكريم قصصه مع فرعون وبني إسرائيل في سور عديدة، وقد أشار جلالة الملك عبد الله الثاني في خطابه في الجلسة العامة للاجتماع الحادي والسبعين للجمعية العمومية للأمم المتحدة إلى حقيقة تقدير القرآن الكريم لأتباع الأديان السماوية وعلى رأسهم موسى عليه السلام فقال: "وفي الواقع فإن الرسول الأكثر ذكراً في القرآن الكريم هو موسى (عليه السلام)، إذ ورد اسمه ١٣٦ مرة أما اليسوع المسيح (عليه السلام)، فقد ذكر ٢٥ مرة وأمه مريم والتي يصفها الإسلام أنها خير من خلق الله من النساء مذكورة ٣٥ مرة، إن الخوارج يتعمدون إخفاء هذه الحقائق عن الإسلام؛ ليفرقوا بين المسلمين وغير المسلمين"(١).

ويستوقف قارئ القرآن هذا الحضور الطاغي لسيدنا موسى عليه السلام خلال السور، وكثرة ورود ذكره عبر الآيات، حتى قال بعض علماء السلف: "كاد القرآن أن يكون كله لموسى"(٢). فقد اصطفاه الله على باقي الأنبياء بكرامة (التكليم) أي الكلام مع الله سبحانه فقال: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي }(٣). كما وصفه بالوجاهة فقال: {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا }(٤). وخاطبه بحنان فقال: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى }(٥).

---

(١) ألقى جلالته هذا الخطاب في تاريخ ٢٠ أيلول – ٢٠١٦م.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتاب العربي، ١٩٩٩، ج١، ص١٩٣.

(٣) سورة الأعراف/ ١٤٤.

(٤) سورة الأحزاب/ ٦٩.

(٥) سورة طه/ ١٣.

وناجاه من جانب الطور فقال: {وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}(١). وألقى عليه محبته منذ الطفولة فقال: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي}(٢).

وعند التأمل في هذه الآيات ندرك كم كان هذا النبي محظوظاً بهذه الرعاية وهذه المحبة والاصطفاء؛ وأي رعاية أعظم من أن يحظى الإنسان باختياره كليماً لله! وأن يُصنعَ على عين الله! وفي ظلّ الله! "وموسى اسم النبي ﷺ عربي مُعرَّب وهو (مو) أي ماء و(س) أي شجر لأن التابوت الذي كان فيه وجد بين الماء والشجر فسمي به"(٣). كما نلحظ جمال التصوير عندما ترسم الآيات صورة (اليم) وكأنه شخص مأمور، يسمع فيطيع: (فليلقه اليم بالساحل) ويستجيب للأمر بإذن الله، ويحتضن الطفل ثم يقذفه بالساحل قريباً من قصر فرعون!! فقد حملت هذه الاستعارة الفنية تصويراً من أروع التصاوير التي تشخص عناصر الطبيعة، وتبين خضوعها لمشيئة الله.

(١) سورة مريم/ ٥٢.

(٢) سورة طه/ ٣٩.

(٣) انظر مادة (موس) لسان العرب.

## (بناء الأخوة يبدأ في البيت)

تبدأ معالم (صورة الأخوة) بالتشكل في ضمائر البشر منذ طفولتهم، وتقوى روابطها حين تسقى بماء الرعاية والحنو الأسري، وهذا ما حظي به الطفل (موسى) حين ترعرع بين أمه وأخته، وأحاطه الله بمحبته منذ الولادة. {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي }[١].

لقد صورت المحبة وكأنها رداء ألقي على هذا الطفل على سبيل الاستعارة المكنية، ويعقب ابن عطية في تفسيره معللاً محبة الناس لهذا الطفل بقوله: "قالت فرقة، أعطاه جمالاً يحبه به كل من رآه. وقالت فرقة: أعطاهُ ملاحة العينين، وأقوى الأقوال أنه القبول"[٢]. وقال قتادة: "كانت في عيني موسى ملاحة، ما رآه أحد إلا أحبه وعشقه"[٣]. وقد ذكّره الله سبحانه بهذه الرعاية، بعد أن كبر وصار من المرسلين: {وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨)}[٤].

فالأمُّ من نعم الله على الإنسان وبها يمتنّ الله على عباده.. فبرحمتها لطفلها تتجلى رحمة الله.. وبرعايتها يشب الطفل سوياً معافى، والمفاجأة التي تتبدى خلال القصة هو ظهور الأخت إلى جانب الأم في رعاية الطفل فهي (أي الأخت) نعمة أخرى من نعم الله ومحبته للإنسان، وقد ارتبط ذكرها بذكر أمِّ موسى: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا

(١) سورة طه/ ٣٩.

(٢) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ج٤، ص٤٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله) تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١١، ص١٣١.

(٤) سورة طه/ ٣٧-٣٨.

وَلَا تَحْزَنَ}[1]. ففي قوله تعالى (ولتصنع على عيني إذ تمشي أختك) ربط بين صناعة الإنسان وبين سعي الأخوات في مصالح الأطفال ورعايتهم.. والصناعة هنا تأتي بمعنى التربية والتنشئة، وكأن الإنسان شيء يُصنع، على سبيل الاستعارة التصريحية..

وفي موضع آخر توعز الأمّ للأخت بإتمام هذه الرعاية: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١)}[2]. حيث طلبت إليها أن تتبع صندوق الطفل، وتقص أثره لتعرف مستقره، ونلاحظ في الخطاب بلاغة التعبير، ودلالة اللفظ (قالت لأخته) ولم يقل: (قالت لابنتها) لأنّ التذكير برابطة الأخوة أدعى لامتثال أمر الفتاة، وفيه تعليل لطاعتها، وفي هذا المعنى يقول الألوسي: "والتعبير عنها بأخته دون أن يقال (لبنتها) للتصريح بمدار المحبة الموجبة لامتثال للأمر"[3].

وفي الآية إشارة خفية لدور الأم في تعزيز وشائج المحبة والمسؤولية بين الإخوة والأخوات. ولوقوع الفعل (تمشي) في هذا السياق دلالته ومعناه، إذ لم يقع بمعناه الحقيقي أي السير على الأقدام، فلا معنى لتسليط الضوء على مشية الفتاة أثناء تتبعها لحركة الصندوق، ولا خطورة لهذا الفعل في استرداد الطفل، وإنما وقع بمعناه المجازي أي السعي والمحاولة، فنقول: مشيت في الأمر، أي سعيت فيه، فالنص يذكر موسى ويمنّ عليه بسعي أخته لاسترداده وهو طفل صغير، وفيه تصوير لدور الأخوات.

---

(١) سورة طه/ ٣٩-٤٠.

(٢) سورة القصص/ ١٣.

(٣) تفسير الألوسي (روح المعاني) شهاب الدين السيد الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢٠، ص٥٠.

## (موسى يلتمس مرافقة أخيه هارون)

ورد ذكر هارون –عليه السلام– بعد أن ورد ذكر موسى (عليه السلام) حين وصل إلى (الواد المقدس طوى)[١]، وكان قد شب، وتزوج إحدى ابنتي شعيب –عليه السلام– في القصة المشهورة، حيثُ ترك زوجته في ليلة ماطرة باحثاً عن جذوة من نار فرأى ناراً من بعيد (فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس..)"[٢].

وحين وصل إلى النار كلّمه الله سبحانه وتعالى وبشّره بأمر النبوة، واختياره رسولاً: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى }[٣]. وطلب إليه أن يبلّغ بني إسرائيل برسالة التوحيد { إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)}[٤]، وأن الساعة آتيةٌ لا محالة: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا}[٥]، أُخْفِيهَا}[٥]، وأن الناس سيحاسبون كلّ على حدة: {لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى }[٦].

كما طلب إليه مواجهة فرعون بطغيانه وكفره: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}[٧]. وأشفق موسى من عبء هذه الدعوة، وتذكر ضعفه وانفراده، وانفراده، وعقدة كانت في لسانه: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي

(١) اسم موضع بالشام.
(٢) سورة طه/ ١٠.
(٣) سورة طه/ ١٣.
(٤) سورة طه/ ١٤.
(٥) سورة طه/ ١٥.
(٦) سورة طه/ ١٥.
(٧) سورة طه/ ٢٤.

أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦)}[١].

وهنا يرد ذكر أخيه هارون لأول مرة في خطابه، وقد قيل بأن هارون كان يكبره بثلاث سنوات[٢]، وقيل بل بسنة واحدة حيثُ تذكر الروايات أن اخته حين تبعته إلى قصر فرعون كانوا يبحثون عن مرضع له فقالت: "هل أدلكم على من يكفله وهم له ناصحون، قالوا: ومن هي؟ قالت أمي فقالوا: لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أكبر من موسى بسنة"[٣]. فإن صحت الرواية فإنّه كان مقارباً له في السن، وهذا أدعى إلى تقاربهما النفسي والأخلاقي.

لقد ربطت موسى عليه السلام بأخيه هارون رابطة الأخوة الطاهرة بأجمل صورها وأنقى معانيها، حيثُ لا حسد ولا غيرة ولا تنافس، مما يحدث في العادة بين الإخوة، وإنما شراكة ومحبة ومؤازرة، وقد طلب إلى الله سبحانه أن تكون رحلته إلى فرعون برفقة أخيه!!

وقد لفت نظر الدارسين وقوع جملة الجار والمجرور بعد فعل الأمر (اشرح لي) فأشاروا إلى أنها تفيد معنى التخصيص (طلب الخصوصية) أي يا رب افعل هذا من أجلي، وخصّني بذلك، وفي هذا مزيد من

(١) سورة طه/ ٢٥-٣٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص١٣٢.

(٣) البحر المحيط (التفسير الكبير)، أثير الدين أبو عبد الله الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، ج٦، ص٢٣٨.

الاستعطاف، ومنه نتعلّم أدب الحديث مع الله ومناجاته، كما يدل على استحباب إظهار التضرع عند الدعاء. "فالله جلّ وعلا لا يأمره أحد من خلقه، وسر التعبير بأسلوب الأمر في مقام الدعاء في الآيات الكريمة، هو إظهار كمال الخضوع لله عزّ وجل، وبيان شدة الرغبة في تحقيق تلك الأفعال"(١).

وفي قوله: {اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١)}(٢)، صورة فنية تلفت نظر القارئ بإيقاعها وقوة دلالتها، وهي أن الأخ الحقيقي من يشد ظهر أخيه، وكأنه رباط يحمي أعضاءه من التعب والإعياء، على سبيل الاستعارة التصريحية، ولجمال التعبير جاء الجواب إلهياً، مردداً ذات المعنى في قوله تعالى: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ}(٣).

وقد عقّب الدكتور فاضل السامرائي على جمال هذه الصورة بقوله: "ومن شأن المرء إذا أراد أن يجهد أحد أعضائه بالعمل ربط عليه، لئلا يعتريه فك أو كسر، وقد جعل الله تعالى هارون أخا موسى بمنزلة الرباط الذي يشد به، لأن تأييد هارون لأخيه موسى إنما هو في الفصاحة والكلام، فكأنه الرباط الذي يحميه، فالرباط يحمي العضو من الزلل والكسر، وهارون يقوّي موسى في إيضاح حجته ويعينه في ذلك"(٤).

(١) علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٩٨٨، ج٢، ص٧٤.

(٢) سورة طه/ ٣١.

(٣) سورة القصص/ ٣٥.

(٤) قبسات من روائع البيان، د. فاضل السامرائي موقع إسلاميات (النت) ١٩ أكتوبر/ ٢٠١٣م.

وفي قوله (أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) تلقي الآية ضوءاً آخرَ على معنى الأخوة الحقيقية، وهي التشاركُ بين الإخوة، ونبذ الأنانية، وحب التفرد، وقد رفض بعض المفسرين أن يكون معنى الشراكة هنا في النبوة، وإنما في أعبائها فقط، يقول صاحب (البحر المحيط): "لا يريد به النبوة بل يريد تدبيره ومساعدته، لأنه ليس لموسى أن يشرك في النبوة أحداً"(١).

بينما ذهب الزمخشري إلى أن الشراكة التي طلبها هي شراكة في الرسالة يقول: "أي اجعله شريكاً في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك"(٢). وعلل طلبه لشراكة أخيه تعليلاً جميلاً، وهو أنهما أقدر معاً على التسبيح والعبادة، وحول تقديمه للتسبيح على ذكر الله، يقول صاحب البحر المحيط: "وقدّم التسبيحَ لأنه تنزيه لله في ذاته وصفاته، وبراءته عن النقائص، ومحل ذلك القلب، والذكر والثناء على الله بصفات الكمال محله اللسان؛ فلذلك قدم ما محله القلب على ما محله اللسان"(٣).

فهو ينبهنا إلى أن ألفاظ الخطاب القرآني مقصودة في ترتيبها، وفي تقديمها وتأخيرها، وأن موسى – عليه السلام – كان مستحضراً لمعنى كل لفظ في خطابه مع الله.

وذهب سيبويه إلى أن في قوله (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا) نعتٌ لمصدر محذوف أو منصوب على الحال، أي نسبحك التسبيح في حال كثرتهم"(٤). ويقصد بذلك (نسبحك تسبيحاً كثيراً) أي أن الكثرة داعية إلى كثرة التسبيح،

---

(١) البحر المحيط، ج٦، ص٢٣٩.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله الزمخشري، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م، ج٣، ص٦٠.

(٣) البحر المحيط، ج٦، ص٢٣٩.

(٤) البحر المحيط، ج٦، ص٢٣٩.

فموسى وأخوه يشكلان كثرة، بمعنى عدداً أكبر في حال تواجدهما معاً. وهي إشارة إلى أن الأخ يعين على العبادة، ويقوي عليها، فالعبادة بحاجة إلى عون، تماماً كالمهمات المادية التي تحتاج مجهوداً أو مشقة.

ويورد ابن كثير قصة لطيفة رويت عن عائشة – رضي الله عنها – وهي أنها سمعت أعرابياً يسأل من حوله، أي أخ كان أنفع لأخيه؟ فاستوقفها هذا السؤال، فإذا به (أي الأعرابي) يجيب حين لم يجبه أحد فيقول: موسى حين سأل لأخيه النبوة، فقالت –رضي الله عنها–: "صدقت والله"(١). فهي أخوة صادقة قوامها تمني كلا الأخوين الخير للآخر، كما يتمناه لنفسه، وعن ابن عباس: "نُبئ هارون ساعتئذٍ حين نُبئ موسى"(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ١٩٩٢، ج٣، ص١٤٣.
(٢) تفسير ابن كثير، ج٣، ص١٤٣.

## (الأخوة الصادقة تؤتي ثمارها)

{قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى}[1] لقد حقق الخطاب هدفه الأسمى، واستُجيبت الدعوة، وانضم هارون لموسى في رحلته الشاقة، يقول صاحب البحر المحيط: "أي ما سألته من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل العقدة، وجعل أخيك وزيراً، وذلك من المنّة عليه"[2].

ولا يخفى ما يحمله الخطاب من معنى الرعاية والمودة الإلهية التي حظي بها موسى – عليه السلام – يتأتى ذلك من خلال:

١- دخول (قد) (قد أُوتيت سؤلك) التي تفيد التحقيق.

٢- مناداته باسمه دون ألقاب (يا موسى) وهل أجمل من أن يخاطب الله سبحانه الإنسان باسمه، ليدلل على قربه ومكانته!! سبحان الله وبحمده!!

وفي خطاب الموافقة على مرافقة أخيه يستوقفنا استخدام الضمائر في قوله تعالى: "إنا معكم مستمعون"[3] ولم يقل (معكما) بصيغة المثنى، رغم أن المخاطب اثنان وهذا يسمى أسلوب (الالتفات) بينما أورد في سورة طه "إنني معكما أسمع وأرى"[4]، وهو تنقل في استخدام الضمائر بين الحاضر والغائب والمفرد والجمع لغايات أدبية، حيث يرى السكاكي :أن

(١) سورة طه/ ٣٦.

(٢) البحر المحيط، ج٦، ص٢٣٩.

(٣) سورة الشعراء/ ١٥.

(٤) سورة طه/ ٤٦.

العرب يستكثرون منه لأنه أدخل في القبول عند السامع"[١] وله في القرآن غايات بلاغية عظيمة تحتاج إلى تأمل وتدبر.

حيث يمكننا تعليل عدول الآية عن استخدام الضمير بصيغة المثنى (معكما) إلى صيغة الجمع (معكم) بأن الآية الكريمة تستشرف دخول كثير من الناس في دين موسى، وأن الله سيكون معهم جميعاً، فلن يقتصر الأمر على موسى وهارون.

وحول قوله تعالى: "فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين" يقول عبد القاهر الجرجاني منوهاً بوجود حذف تقديره "فأتياه فإذا قال لكما ما شأنكما؟ وما جاء بكما؟ وما تقولان؟ فقولا إنا رسول رب العالمين"[٢] ويكمن جمال الخطاب في هذا الموضع في كونه يتضمن موافقه وإرشاداً لكليهما إلى ما ينبغي قوله، وفي هذا تخفيف عن موسى (عليه السلام).

وثمّةَ لوحةٌ أخرى ترسم صورة للّقاء التاريخي بين موسى وربه (جلّ وعلا) في الواد المقدس، وطلبه انضمام أخيه إليه، وفيها اختلاف في الألفاظ والصياغة مع ثبات المعنى والمضمون. وحول هذه الظاهرة يقول الباقلاني: "إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً، من الأمر الصعب، الذي تظهر به الفصاحة وتتبين به البلاغة"[٣].

(١) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة بغداد، ١٩٨١م، ص٣٩٥.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م، ص٢١٤-٢١٥.

(٣) إعجاز القرآن، الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ص١١٥.

## (في بلاط فرعون)

{ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)}[1].

وينطلق الأخوان في رحلتهما الخطرة إلى قصر فرعون، (ملك مصر) ومدّعي الألوهية، يعتريهما الخوف من جبروته، وذكرى قديمة لجريمة لاحقتْ موسى حين خرج هارباً من مصر، لكن الله سبحانه ثبتهما بدعوة الحقّ، الدعوة إلى الوحدانية، ونبذ عبادة فرعون، ويظهر في الآيات السابقة أسلوب التأكيد على المشاركة بين الأخوين، مع التركيز على شخص موسى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ}[2]

وهذا أسلوب العطف الذي يفيد معنى التشارك، حيثُ ترجّح قواعد النحو أن الواو إذا سبقت بضمير منفصل، ترجّح معنى العطف على المعية[3]، فلا نقول إن المعنى اذهب بمعية أخيك، وإنما اذهبا كلاكما. ويظهر معنى التشارك في تعبير (ولا تنيا في ذكري) أي لا تبطئا، ليشعر

(١) سورة طه/٤٠-٥٢.

(٢) سورة طه/٤٢.

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ج١، ص٥٩٤.

القارئ بمدى الثقة التي منحها الله لهذين الأخوين، والتأكيد على ترابطهما.

وفي قوله: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }[١] أي فرعون.

نتساءل: كيف يقولان لفرعون هذا بلسان واحد؟ والجواب أنهما سيحملان نفس الفكرة، وإن اكتفى أحدهما بنقلها، وبذلك يكونان قد قاما بالأمر معاً، وكأنها إشارة إلى ضرورة اتحاد الإخوة في الفكر وإن اختلفت طرائق التعبير.

وهذا ينطبق على قوله: {قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى }[٢]، فأحدهما يكون قد دعا الله بهذا القول، فأغنى عن الآخر. كذلك جاء رد الله سبحانه عليهما: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }[٣]، فالرد كان على أحد المتكلمين، لكنه عبّر عما يجول في خاطريهما معاً.

ويلفت نظرنا سؤال فرعون لهما حين دخلا عليه، وعرضا عليه رسالة التوحيد: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى }[٤]. إنه سؤال يحمل كثيراً من الدلالات:

**أولها:** قوله (ربكما) بصيغة المثنى فيدل على مثول كليهما أمامه في البلاط (موسى وهارون):

**ثانيها:** إنَّ قوله (ربكما) تشي بكفره وانحلاله من الإيمان بوجود الله سبحانه، فقد نسب (الرب) إليهما، وكأنه غير معنيّ بهذا الأمر.

**ثالثها:** التفاته من صيغة المثنى إلى صيغة المفرد (يا موسى) فيدل على معرفته الجيدة بموسى وليس بهارون، فقد قال له في موضع آخر

(١) سورة طه/٤٤.
(٢) سورة طه/٤٥.
(٣) سورة طه/٤٦.
(٤) سورة طه/٤٩.

{ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا}[1]، ولا عجب في ذلك، فقد تربى موسى في قصره، وعرفه طفلاً ويافعاً، كما أنّ فيه دلالة إدراكه بأن موسى هو المرسل بهذه الدعوة وليس أخاه، وهذا من ذكائه وحدسه.

ويعلل القرطبي مخاطبة فرعون لموسى دون هارون بقوله: "ذكر فرعون موسى دون هارون لرؤوس الآي، وقيل: خصصه بالذكر، لأنه صاحب الرسالة والكلام والآية، وقيل إنهما جميعاً بلغا الرسالة، وإنْ كان ساكتاً، لأنه في وقت الكلام، إنما يتكلم واحد، فإذا انقطع وآزره الآخر وأيّده، فصار لنا في هذا البناء فائدة علم أن الاثنين إذا قُلدا أمراً فقام به أحدهما، والآخر شخصه هناك موجود مستغنى عنه في وقت دون وقت، أنهما أدّيا الأمر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب"[2].

ويستوقفنا قول القرطبي في التعليل السابق بأن موسى قد خُص بالخطاب لرؤوس الآي، ويقصد بذلك أن الفاصلة القرآنية في هذه الآيات تنتهي بحرف الألف، فناسب الآية أن تنتهي بكلمة (موسى) لتناسب قافية الآية، ولا نذهب معه في هذا المذهب، لأن المعاني لا تنقاد للإيقاع والفواصل، بحيثُ تحذف كلمة، وتبقى أخرى لتناسب الصوت والفاصلة، فالله لا يعجزه شيء، ولا توقفه فاصلة عن المضي في الكلام وقد وصف نفسه – سبحانه – فقال: {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}[3]. فهل يليق أن نقول حُذفت كلمة هارون وبقيت كلمة موسى، ليناسب هذا رؤوس الآي؟! هذا حتماً لا يليق. ولكنا نتفق معه في قوله بأن موسى قد أفرد بالخطاب لأنه صاحب الرسالة

(١) سورة الشعراء/١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص١٣٦.

(٣) سورة الكهف/١٠٩.

والكلام والآية. كما نتفق معه بأن الاثنين إذا قُلِّدا أمراً، فإن أحدهما يُغني الآخر في حال غيابه، كما أنهما يستوجبان معاً الثواب.

كما نخرج بدرس مستفاد من هذا الموقف، وهو ضرورة وجود من يمثّل الوفود والجماعات في المؤتمرات والمحافل الدولية، وأن من حق المضيفين لهم أن يحددوا هؤلاء الممثلين، كما فعل فرعون في الآيات السابقة فقد كان من المقرر أن هارون أفصح لساناً، كما ظهر في حوار موسى مع ربه – جلّ وعلا – لكان فرعون آثر أن يستمع من موسى نفسه.

وتسرد الآيات قصة الحوار الذي دار بين موسى وفرعون، حيث وجه إليه أسئلةً عامةً في الكون والحياة – يريد اختباره – {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى }[١]، {قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى }[٢].

وشرع يحدثه عن خلق الله للسموات والأرض، وتيسيره أمر الحياة على الأرض وإخراجه النبات بعد نزول الماء؛ رحمةً في الإنسان والحيوان، ثم أرى فرعونَ ما يحمل من معجزات (العصا واليد البيضاء) لكن فرعون كذّب وأبى، واتهم موسى بالسحر، وطلب إليه المواجهة في يوم الزينة (يوم العيد) ويحشر الناس وقت الضحى، ليشاهدوا سحرة فرعون وكيفية صدهم لسحر موسى بسحرٍ مثله.

ونلاحظ خلال هذا الحوار غياب هارون وحديثه، لا لشيء إلا لأن فرعون أدركَ أن موسى هو المعنيّ الأول بكل هذه الرسالة.. وقد حدث ما خشيه موسى، لقد واجه فرعون بنفسه، وخاطبه بصورة مباشرة دونما استعانة بهارون، ووقع العبء الأكبر عليه في كل ذلك، بل وعيّره فرعون

(١) سورة طه/٥١.

(٢) سورة طه/٥٢.

بعقدةٍ لسانه فقال: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ }[1] أي لا يكاد يقدر على التعبير.

ووقعت المواجهة، وألقى موسى عصاهُ أمام السحرة، بعد أن ألقوا عصيهم التي استحالت ثعابين تسعى، فتلقفت عصاه – بعد أن استحالت بمشيئة الله أفعى – كل ما سحروا به أعين الناس. وهنا نلاحظ أيضاً أن القرآن قد ذكر ردة فعل موسى دون هارون: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى }[2]. ولتأخير لفظ موسى في الآية علة بلاغية ذكرها الزركشي فقال: "النفس تتشوق لفاعل أوجس"[3] فإذن موسى كان أشد الأخوين خوفاً من رؤية السحر والأفاعي لذا خُصّ بالذكر دون هارون وأُخر ذكره للتشويق.

ولكنا ندرك وجود هارون إلى جانبه، حين صاح السحرة بعد أن غلبهم موسى بمعجزته: {قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى }[4] فأخوه موجود وسط هذا الموقف المخيف، لكن العبء الأكبر كان واقعاً على موسى، تلقاه برهبته ورعبه!! وهنا يبرز السؤال الذي أثار إشكالية عند الدارسين: لماذا قدّموا ذكر هارون على موسى في هذا الموضع؟ هذا ما ستتناوله الصفحات اللاحقة.

---

(١) سورة الزخرف/٥٢.

(٢) سورة طه/٦٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (محمد بن عبد الله)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص٦٢.

(٤) سورة طه/٧٠.

## (لماذا قدم هارون على موسى)

استوقفت الدارسين القدامى والمحدثين قضية تقديم هارون على موسى في بعض الآيات وتأخره عنه في آيات أخرى: {قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى }[١] {قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨)}[٢]

ومعلوم أنَّ التقديم والتأخير هو باب من أبواب علم المعاني في البلاغة العربية، وأن للألفاظ رُتب تحكم ترتيبها داخل النص، كأن يتقدم لفظ على آخر لغاية التخصيص كتقدم لفظ (إياك) في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[٣] أي نخصك وحدك: أو مراعاة للتدرج كقوله تعالى: {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}[٤]، فقد ذكرت الأرض قبل السماء مراعاة للتدرج في العلو.

وقد استقصى البلاغيون القدامى غايات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حتى أحصى الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في كتابه البرهان خمساً وعشرين غاية، كالتقديم للتحذير والتنبيه والتعجب وغيرها[٥].

وفي علة تقديم ذكر هارون على موسى، ذهب الزركشي إلى أن هذا إنما هو مراعاة لإيقاع الآيات، فقال بأنه وقع (ليناسب رؤوس) الآي[١]، وكذلك ذهب صاحب الإيضاح[٢].

---

(١) سورة طه/٧٠.

(٢) سورة الشعراء/٤٧-٤٨.

(٣) سورة الفاتحة/٤.

(٤) سورة يونس/٦١.

(٥) البرهان في علوم القرآن/ج٣، ص٢٣٨.

وهذا المذهب ينص على أن للترتيب القرآني للألفاظ دخل بمراعاة الانسجام الصوتي وتحقيق القافية (الفاصلة القرآنية) وقد أشرنا فيما سبق إلى بُطلانِ هذا المذهب؛ لأن القرآن غايته الأولى هي صدق النقل وليس تحقيق الموسيقى والإيقاع.

وقد وازن السامرائي بين الغايتين (الإيقاع وصدق المعنى) فقال: "فهو لم يختم آية الشعراء بكلمة (هارون)، وآية طه بكلمة (موسى) مراعاةً للانسجام الموسيقي وحده، بل اقتضاه الكلام من جهة أخرى، فهو قد راعى الانسجامَ الموسيقي وما يقتضيه الكلام"(٣). فهو يرى أن القرآن يراعي الصدق قبل الجمال، وهذا مقصده من قوله "ما يقتضيه الكلام" أي ضرورة المعنى.

وقد شرح ابن الزبير في كتابه (ملاك التأويل) هذا المعنى فقال: "إنه لا يلزم من الآية أن كلام السحرة هذا كان في موطن واحد، بل لعلّه كان في موطنين أو لعله قد تكرر منهم، وإن كان في موطن واحد"(٤). وهو بذلك يريد أن يؤكد على قضية صدق النقل، فالسحرةُ قد يكونون قد كرروا التعبير بأكثر من صورة، فنقلها القرآن بجميع أشكالها.

---

=

(١) المصدر السابق، ج٣، ص٢٥٥.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن)، مكتبة المثنى، بغداد، ج١/ ص١١٧.

(٣) التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ١٩٩٨، ص٢١٨.

(٤) ملاك التأويل، ابن الزبير (أحمد بن إبراهيم)، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ج١، ص٥٦٩.

ونجد بعض المفسرين ذهبوا مذهباً لطيفاً في تعليل هذا التقديم والتأخير، فقال ابن عاشور: "ويجوز أن يكون تقديم هارون في هذه الآية من حكاية قول السحرة، فيكون صدر منهم قولان، قدموا في أحدهما اسم هارون اعتباراً بكبر سنّه، وقدّموا اسم موسى في القول الآخر اعتباراً بفضله على هارون بالرسالة، وكلام الله"(١).

ويؤيده السامرائي بذلك فيقول: "والقرآن لا يأتيه الباطل من أي جهة كانت، فلا يُتصور أن يقدم السحرة اسم هارون في كلامهم، ويغيّر القرآن في الترتيب من أجل نكته بلاغية ما، فالصدق قبل الجمال دائماً"(٢). نعم الصدق قبل الجمال دائماً.

وقد يكون في تقديم هارون على موسى غاية بلاغية أخرى وهي مراعاة التدرج من الأقل إلى الأعلى، أي ذكر هارون ثم ارتقى إلى ذكر موسى لأنه أعلى رتبةً، وقد وقع هذا في القرآن في أكثر من موضع كقوله تعالى واصفاً حال الحجاج: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}(٣).

فالرجل الذي يسير على رجليه، والراكب على الضامر (الذي يعتلي الخيل) كلاهُما يذهبان إلى الحج، فبدأ بالأقل حظاً، ثم ارتقى إلى الأكثر حظاً في رحلة الحج، وبذا يُعدّ التدرج والترقي من الأقل إلى الأعلى غاية من غايات التقديم والتأخير في ألفاظ القرآن الكريم.

ونخلصُ من هذه القضية إلى عدة نتائج:

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ج١٦، ص٢٦٣.

(٢) برنامج لمسات بيانية، الدكتور فاضل السامرائي، تلفزيون الشارقة ٢٠٠٩/٩/٤م.

(٣) سورة الحج/٢٧.

١- ذهب بعض الدارسين إلى أن التقديم والتأخير تم هنا مراعاةً للفاصلة القرآنية والإيقاع اللفظي.

٢- وذهب البعض الآخر إلى أن التقديم والتأخير تم على لسان السحرة أنفسهم، فتارةً كانوا يقدمون، وتارةً كانوا يؤخرون، فاقتضى الصدق أن يذكر القرآن كلا الأسلوبين.

٣- وذهب البعض إلى أن في تقديم (هارون على موسى) مراعاة لكبر سنه، فقد كان يكبر موسى بعدة سنين كما تذهب بعض الروايات، بينما قدم موسى في مواضع أخرى؛ مراعاة لأنه صاحب الرسالة والدعوة.

٤- وذهبتُ إلى أن الأمر قد يكون فيه مراعاة للتدرج بالرتبة لاسيما عند تقديم هارون، وبذلك ارتقت الآية من الأقل رتبة إلى الأعلى رتبة..

ومهما يكن اختلاف التعليلات، فإنّا نخرج من كل ذلك بأن القرآن الكريم له غايات لطيفة وعميقة، تكمن وراء تقديمه وتأخيره للألفاظ، ينبغي تأملها فسبحان الله العظيم!

**{يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي}**[١]

وفيما يلي عرض للوحة جديدة من لوحات الأخوة بين موسى وهارون، لوحة عنيفة لكنها تشي بتقلب الأحوال، وما يطرأ من ظروف عصيبة، قد تعصف بحميمية هذه العلاقة، وتزلزل أركانها، مما هو شأن جميع العلاقات الإنسانية، مهما بلغت من المتانة والقوة.

وتحكي القصة كيف سار موسى ببني إسرائيل بعد أن غرق فرعون وجنوده في اليم، وأنجى الله موسى ومن معه من المؤمنين، فسار بهم خارج مصر، غير أن بني إسرائيل أخلفوا وعودهم لموسى عليه السلام، وطلبوا إلهاً غير الله يعبدونه، بعد أن مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا: {يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ }[٢].

وحين غادرهم لميقات ربه: { وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ }[٣]، ليحضر لهم ألواحاً فيها هدى ونور، استغلوا غيابه لممارسة الوثنية، وصنعوا عجلاً من ذهب أخذوا يقدسونه ويعبدونه. وقبل أن يغادرهم موسى – عليه السلام – استدعى أخاهُ هارونَ: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ }[٤].

ويستوقفنا في الخطاب أسلوب الأمر (اخلفني) (وأصلح) (ولا تتبع سبيل المفسدين) فهو ليس من باب التسلط أو التحكم وإنما يخرج إلى معنى التحذير والتنبيه لأمرٍ عظيم، فالأخُ (خليفة) وهذا تعبير جميل في دلالته

(١) سورة طه/٩٤.
(٢) سورة الأعراف/١٣٨.
(٣) سورة الأعراف/١٤٢.
(٤) سورة الأعراف/١٤٢.

على المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق الأخ عند غياب أخيه، وهي ليست خلافة تحكم أو تسلط، وإنما خلافة إصلاح لذلك أعقب بقوله: (وأصلح) (ولا تتبع سبيل المفسدين).

إذن الأخ يشرف ويصلح من بعد أخيه، وفي صحيح بخاري عن سعد بن أبي وقاص: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي ﷺ حين خلفه في بعض مغازيه: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟)[1]، وهذا ينطبق على الحياة الأسرية، ففي غياب الأخ يفترض أن يكون الأخ (عم الأولاد) مصلحاً أميناً على الأسرة لا مفسداً ولا متسلطاً.

فلا عجب إذن أن حذر موسى من معنى الفساد الذي قد ينجم عن عدم تحمل المسؤولية بصورتها الصحيحة بقوله: (ولا تتبع سبيل المفسدين)، وجميعها إشارات اجتماعية لا بدَّ من تأملها.

لكن القوم استضعفوا هارون، فوجد نفسه وحيداً وسط قوم عُتاة ولا حول له ولا قوة، وخشي إنْ زجرهم أن يتفرقوا، وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله: {إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي }[2].

ويقودهم السامرائي (رجل بني إسرائيل) إلى الشرك، ويجمع حليهم ويصنع لهم عجلاً له خوار، فيعبدونه من دون الله {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ}[3]. ويرجع موسى بعد أربعين ليلةً، لتذهله الحقيقة المرعبة، وهي سقوط بني إسرائيل في الشرك، فيتملكه

(١) فتح الباري، في شرح صحيح البخاري (أحمد بن علي العسقلاني)، دار الريان للتراث، ١٩٨٦، كتاب (فضائل الصحابة) رقم الحديث ٣٥٠٣.

(٢) سورة طه/ ٩٤.

(٣) سورة الأعراف/ ١٤٨.

الغضب، ويأخذ برأس أخيه. {وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ}(١)، {قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي}(٢).

وفي سورة أخرى نقل القرآن المشهد ذاته بلفظ آخر: {قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ }(٣) إنها صورة عنيفة لمن يتمثلها في خياله.. أخذ بالرأس وباللحية، وهذا أشد ألماً وأكثر إذلالاً، حيثُ روي أن الإسكندر المقدوني نهى جنوده عن تربية لحاهم، لئلا تكون طويلة فيمسكهم العدو منها في الحرب..!!

وتساءل بعض المفسرين: هل يليق هذا بنبي، أن يفعل هذا بأخيه؟! وتأتي الإجابة سريعاً: تختفي صلات الرحم جميعها عند التعدي على شرع الله، فكيف إذا تعلق الأمر بالوحدانية وإقرارها؟! وكيف إذا تعدى عليها أحد بالشرك؟ لذلك نسي موسى كل الروابط الإنسانية، لحظةَ وقوع عينيه على العجل المعبود، وكاد يبطش بأخيه.

في هذه اللحظة انبرت في خاطر هارون فكرة رائعة، وصورة مؤثرة ترجمها في قوله: {قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}(٤). وفي موضع آخر: {ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ }(٥). لقد ذكره برابطة الأم،

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.
(٢) سورة طه، الآية: ٩٤.
(٣) الأعراف/١٥٠.
(٤) سورة طه/٩٤.
(٥) الأعراف/١٥٠.

وما أدراك ما رابطة الأم؟! إنها الشفيع والملجأ الرفيع بعد الله في غيابها وحضورها، وأي شفاعة بين الإخوة أقوى من استحضار صورة الأم.. وهل من أم ترضى باقتتال أبنائها.

فإن خطر ببال قارئ أن هارون هو أخو موسى لأمه، رد عليه المفسرون بأنّه كان أخاه لأبيه وأمه، يقول القرطبي: "وكان ابن أمه وأبيه، ولكنها كلمة لين وعطف"(١). وقال الطبري: "قال لموسى يا ابن أم ولم يقل: يا ابن أبي، وهما لأب واحد وأم واحدة، استعطافاً له على نفسه برحم الأم"(٢).

وحول أسلوب الاستعطاف الوارد في قوله: يابنؤم، يقول البقاعي: "أجاب مستعطفاً لذكر أول وطن ضمهما بعد نفخ الروح، مع ماله من الرقة والشفقة (يبنؤم) فذكره بها خاصة، وإن كان شقيقه؛ لأنه يسوءها ما يسوءه، وهي أرق من الأب"(٣).

ولنلاحظ قول البقاعي بأن الأم أول وطن يضم الأخوة بعد نفخ الروح لندرك جمال الصورة وروعتها!!

وفي تعليل أسلوب النهي (لا تأخذ بلحيتي) يقول الدكتور بسيوني عبد الفتاح: "فالنهي في قوله "لا تأخذ" المراد به الالتماس، لأنه ليس فيه استعلاء وإلزام ولا تذلل وخضوع حيثُ وجه من هارون إلى موسى، وهما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن/ ج١١/ص١٥٨.

(٢) تفسير الطبري، ج١٣، ص١٣١ (ويقول: إذا فُتحت الميم (يا ابن أمَّ فمراد به النّدبة: يا ابن أماه) ولا تكاد العرب تحذف الياء إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادي إلى نفسه إلا قولهم يا ابن أم ويا ابن عمّ.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (برهان الدين) دار الكتاب الإسلامي، ج١٢، ص٣٣٥.

متساويان في الرتبة والمنزلة، فهو يلتمس منه بهذا النهي عدم إنزال العقوبة به.. والسر البلاغي وراء هذا التعبير، هو إظهار حرص هارون على ترقيق قلب أخيه، ورغبته القوية الأصيلة في العفو والتسامح"[١].

وينبغي ألّا نلتفتَ إلى آراء بعض الدارسين بأن ورود اللفظ تارةً مفصولاً (ابن أم) وتارة متصلاً (ابنؤم) يدل على أن موسى كان منفصلاً عن أخيه لحظة الخطاب (ابن أم) وأنه حين أخذ بلحيته ورأسه كان متصلاً به فخاطبه (ابنؤم) فهذا تأويل بعيد عن المنطق والعقلانية، وإنما يتعلق الأمر بالرسم القرآني وأسراره وخصوصيته، والله أعلم. ويصور القرطبي لحظات الشدة التي مرت بالأخوين في تلك اللحظة: "قيل أخذ شعره بيمينه، ولحيته بيساره، لأن الغيرة في الله ملكته"[٢].

(١) علم المعاني، ج٢، ص٨٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن/ ج١١/ص١٥٨.

## (ولما سكت عن موسى الغضب)

{ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ}[1] وقد أعجب البلاغيون أيّما إعجاب بهذه الصورة واستشهدوا بها في كثير من كتب البلاغة، لجمال الاستعارة، وروعة التشخيص، فالغضب يأمر موسى أن يأخذ بلحية أخيه. والغضب يسكت بعد ذلك ويهدأ، وكأنه إنسان على سبيل الاستعارة المكنية، وحول جمال هذه الصورة يقول الزمخشري: "كأن الغضبَ كان يغريه على ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا وألق الألواح، وجر برأس أخيك إليك... ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم، وذوق صحيح إلا لذلك، ولأنه من قبيل شعب البلاغة"[2].

وحول جمال التصوير يقول سيد قطب "فإن أجمل ما في هذا التعبير هو تشخيص الغضب، وكأنه إنسان يقول ويسكت، ويغرى ويصمت، فهذا التشخيص هو الذي جعل للتعبير جماله"[3].

وينبري موسى –عليه السلام– بعد هذه الموجة من الغضب، وبعد أن عاد إلى هدوئه يدعو لنفسه ولأخيه؛ وقد أثمر الحوار وآتى أكله، في تهدئة الخواطر وتوضيح المواقف، وإزالة سوء الفهم، وكذا الحوار في كل أمر يكون ضرورة من ضرورات الأسرة السوية والعلاقة المتينة:

---

(١) سورة الأعراف/ ١٥٤.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ج٢، ص١٥٧.

(٣) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٧م، ص٢٨.

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }[١] لم ينس أخاه من الدعاء في أحلك اللحظات وأكثرها قسوةً طالباً الرحمةَ لكليهما فإن قال قائل: ولماذا قدم نفسه على أخيه (لي ولأخي)؟

نقول: ليس في هذا أي ذاتية أو إيثار للنفس؛ لأن المتأمل في المعنى يدرك أن ابتداءه بذكر نفسه عند طلب المغفرة، إنّما يدل على إقراره بتقدم ذنبه على ذنب أخيه، بعد أن عاتبه هارون (محاوراً إياه) بعدة أمور هي:

١- تركه وحيداً لا معين له، وذلك في قوله: {إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي }[٢]، أي وجدوني ضعيفاً وأنت بعيدٌ عني. وهذه نقطة هامة لفت إليها نظر أخيه.. ومنها نتعلم قيمة الاتحاد، والتواجد مع الإخوة قدر المستطاع.

٢- إشرافه على الهلاك واضطراره التزام الصمت حفاظاً على روحه، وذلك في قوله: {وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي }[٣]، ونتعلم من ذلك أن لا نحكم على إخوتنا بالخيانة، ما لم نستقصِ دوافعهم، وما قد يلحقهم من أذى وألا نمارس عليهم الضغط أو نكلفهم ما لا يطيقون.

٣- خوفه من شماتة أعدائه، وهم يرون الخلاف الذي دبّ بين الأخوين، حتى وصل إلى مرحلة العنف الجسدي، وهذا مما لا ينبغي وقوعه بين الأخوة، لأنه يفت في عضدهم، ويضعف جبهتهم. لذا نترك خلافاتنا أمام الناس ونحتفظ بها فيما بيننا.

---

(١) سورة الأعراف/١٥١.

(٢) سورة الأعراف/١٥٠.

(٣) سورة الأعراف/١٥٠.

٤- حرصه على وصية أخيه بعدم فرقة بنـــي إســـرائيل: {خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}[١]، وبذا كان صمته وعدم مواجهتـــه لبني إسرائيل من باب الالتزام بالوصية، لذلك عقب علـــى ذلـــك بقوله: "ولم ترقب قولي".

ونتأمل تعبير {وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[٢] لندرك الإشارة الخفية وراء هذه الكلمة وهي حفظ الوصايا، ومراقبة العهود بين الإخوة، وجاء مصطلح (ترقـــب) من المراقبة ليدل على معنى التتبع والالتزام على وجه الدقة وهـــذا درس آخر.

كما ويلفت نظر المتأمل في الحوار بين الأخوين أسلوب الاستفهام في قول موسى {أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي}[٣]، حيث يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلـــى معنى العتب والتعجب والاستنكار والذي يشير بدوره إلى مقدار الثقة التي زرعها موسى في أخيه عند غيابه، والتي عدها قـــد انكســـرت بتقـــاعس هارون، وعدم التزامه، وما أصعب الانكسار حين يتسبب به الأقربون!!

وثمة سؤال يستثيره قول موسى (أفعصيت أمري) حـــول طاعـــة الكبيـــر للصغير، فإنّ هارون كان يكبر موسى بعدة سنين.. فكيف تكون الطاعـــة بين الأخوين الأكبر والأصغر؟

إن موسى كان يصغر هارون في السن، ولكنه كان يعلـــوه فـــي الرتبـــة والمكانة، فإن كان هارون نبياً كما ورد في بعض الآيات {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ

(١) سورة طه/٩٤.
(٢) سورة طه/ ٩٤.
(٣) سورة طه/ ٩٣.

رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا}[١]، فإن موسى كان رسولاً نبياً، أي كُلف بالرسالة إلى جانب النبوة، كما نال فضل (التكليم) و(حمل المعجزات) وبذا فاق أخاه رتبةً.

وبذا نستخلص أن الأخ الأصغر سناً في الأسرة، قد ينال شرف قيادة إخوته بمؤهلات أخرى غير السن، ويستحق عليها الطاعة والاحترام، وهذا درس آخر.

ولعل من أجمل تعبيراته ﷺ عن محبته لأخيه قوله في سورة المائدة، بعد أن عصاهُ بنو إسرائيل: {رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي }[٢]

ففي لحظة صعبة عدّ أخاه هو ملكيته ورأسماله في هذه الحياة، بعد أن عصاه قومه، يقول الدكتور بسيوني عبد الفتاح بعد أن شرح ظاهرة (القصر الادعائي) في هذه الآية الكريمة: "أثبت موسى عليه السلام ملكيته لنفسه ولأخيه، ونفاها عن كل ما عداهما، والمراد: لا أملك في سبيل الله والدفاع عن كلمة الحق، إلا نفسي وأخي [أسلوب القصر][٣].

ونختم بقولنا: لقد نقل لنا القرآن عبر قصة حدثت منذ قرون طويلة، دروساً وعبراً مازالت تمس حياتنا اليومية، وفيها خلاصات تعالج مشكلاتنا الاجتماعية، منها مشكلات الأخوة، وأسلوب تعاملهم وتعايشهم معاً، ولا عجب في ذلك، فالقرآن بلسم لكل داء، وشفاء لما في الصدور، فسبحان الله العظيم.

---

(١) سورة مريم/ ٥٣.

(٢) سورة المائدة/ ٢٥.

(٣) علم المعاني، ج٢، ص١٠..

**الخاتمة:**

- تعد رابطة الأخوة من أقوى الروابط الإنسانية التي أثنى عليها القرآن الكريم ووصف بها أهل الجنة فقال: "ونزعنا ما في قلوبهم من غلٍ إخواناً على سرر متقابلين".
- جاء قول النبي (عليه السلام) مخاطباً علياً ابن أبي طالب –رضي الله عنه–: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟" إقراراً برِفعة هذه المنزلة وقوتها.
- بين القرآن الكريم أن الأخوة الصادقة تزيل البؤس عن الإنسان، فقال على لسان يوسف عليه السلام: "إني أنا أخوك فلا تبتئس".
- بين أن الأخ الحقيقي من يحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، كما قال موسى –عليه السلام– مخاطباً ربه: "فأرسل إلى هارون" فقد أراد شراكته في رحلة الدعوة إلى الله.
- ينبغي على الأخ الحقيقي أن يقر بفضل أخيه، وما ينماز به عمن سواه، فقد أقر موسى عليه السلام بتفوق أخيه بالفصاحة: "وأخي هارون أفصح مني لساناً".
- ينبغي تذكير الإخوة دوماً برابطة الأخوة؛ ليكون ذلك أدعى إلى تلاحمهم واتحادهم، فقد خاطب الله موسى وهارون بقوله: "اذهب أنت وأخوك ولا تنيا في ذكري" فجاء تعبير (أخوك) مقصوداً في موضعه وغايته.
- الأخ الحقيقي هو (رأس مال) الإنسان وثروته الحقيقية. كما جاء على لسان موسى: "رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي" وذلك حين تتلاشى الروابط وتضعف الصلات.

- الأخ الحقيقي يشدّ عضد أخيه، فهو بمثابة الرباط الذي يحمي أعضاءه من الكسر: "قال سنشد عضدك بأخيك".
- قد يعتري هذه الرابطة بعض التوتر والخلاف، عند ذلك تكون الأم هي الأقربُ إلى الحضور ولملمة الأمور بحضورها وغيابها، لذلك خاطب هارون أخاه موسى مذكراً بهذه الرابطة: "يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي".
- لابدَّ من الدعاء للأخ بظهر الغيب بالمغفرة، فهذه من مظاهر الأخوة الصادقة، فقد قال موسى "رب اغفر لي ولأخي".
- تُعد الأخت سنداً وذخراً لأخوتها، في البيت الذي يراعي قداسة هذه الرابطة، فقد رعت أخت موسى أخاها حين كان وليداً وتبعت (تابوته) حتى وصل إلى غايته، وأمنت شقيقها بمرضع "قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه وهم له ناصحون".
- تراوح أسلوب الخطاب (خطاب الأخوة) في القرآن الكريم بين الخبر والإنشاء، مع غلبة الأسلوب الإنشائي على معظمه؛ وذلك لأن الجمل الإنشائية في اللغة، كالنداء والدعاء والأمر والتعجب وغيرها، أقدر على نقل انفعالات الإنسان وأحاسيسه. ولما كانت علاقة الأخوة علاقة إنسانية بحتة، فقد امتلأ خطاب موسى وهارون (عليهما السلام) بمثل هذه الأساليب التي تنم عن قوة هذه العلاقة من ذلك.
- النداء (يا ابن أم) الدعاء (ربّ اغفر لي ولأخي) الأمر (اخلفني في قومي وأصلح) الاستفهام (أفعصيت أمري)... وغيرها كثير..

ولكن الأسلوب الخبري غلب على مواقف الحوار وتعليل الأحداث، ولا عجب في ذلك، فالحوار يحتاج قوة في الإقناع، ومخاطبة للعقل. من ذلك قول هارون لأخيه يعلل ما حدث في غيابه: "إن القوم استضعفوني" "وكادوا يقتلونني" "وخشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل" "ولم ترقب قولي".

كان للالتفات (بين الضمائر) حضور واضح كظاهرة بيانية في خطاب الله سبحانه للأخوين، لاسيما في لقاء الموافقة على إرسالهما معاً، وذلك من ضمير المفرد إلى ضمير المثنى "اذهب" "اذهبا" إلى ضمير الجمع "إنا معكم مستمعون" مما يدل على حضورهما معاً تارة وحضور موسى وحده تارة أخرى، أو مخاطبتهما كشخص واحد "قولا إنّا رسول رب العالمين" كناية عن اتحادهما في الدعوة والرسالة، مما أشرنا إليه كله في موضعه، وقد وقع في أجمل صورة وأجمل بيان.

وأخيراً يصلح هذا البحث لدراسة ظاهرة الأخوة في القرآن الكريم لمن أراد تقصي إيقاعاتها وتجلياتها، ليكون حلقه ضمن حلقات أكبر في نشاطات الدارسين.

**والله ولي التوفيق**

## قائمة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتاب العربي، ١٩٩٩م.

٢- إعجاز القرآن، الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب)، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م.

٣- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، مكتبة المثنى، بغداد.

٤- البحر المحيط (التفسير الكبير) أثير الدين أبو عبد الله الأندلسي، دار إحياء التراث العربي.

٥- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (محمد بن عبد الله) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.

٦- التحرير والتنوير، ابن عاشور (محمد الطاهر) الدار التونسية للنشر.

٧- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٧م.

٨- التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٨م.

٩- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.

١٠- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (محمد بن جرير) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

١١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله) تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٢- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م.

١٣- روح المعاني، الألوسي (شهاب الدين) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

١٥- علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٦- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، البخاري (أحمد بن علي العسقلاني) دار الريان للتراث، ١٩٨٦م.

١٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (أبو القاسم جار الله) تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.

١٨- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

١٩- المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٠- مفتاح العلوم، السكاكي (أبو يعقوب) تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد، ١٩٨١م.

٢١- ملاك التأويل، ابن الزبير (أحمد بن إبراهيم) تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (برهان الدين) دار الكتاب الإسلامي.